ISSN: 2335-1756
NDL/BNA/4949-2013
مجلة مقاربات
مجلد: 03 عدد: 05 أكتوبر 2015

مقاربة مفهمية ونظريـــة للصراع

أ.سناء قلمامي
جامعة عنابة

ملخص:

إنّ الصراع يكون عادة نتيجة لسلوك فرد معين لا يتفق مع توقعات الآخر، ويكون من الصعب تغيير سلوك شخص معين أو تغيير توقعاته لأن ذلك يتطلب توقعات شخصية، ومستوى نضج معين يحدد مقدرة الشخص على تفادي الصراع ، وترجع صعوبة التوافق عادة إلى وجود ما يعرف في علم الاجتماع وعلم النفس بفجوة الأجيال.

وقد تناولت العديد من المداخل النظرية موضوع الصراع، وحللته في إطار أدواتها المفهمية ومنطلقاتها الابستيمولوجية، ولذلك يختلف تناول هذا الموضوع من نظرية إلى أخرى، وتعد النظريتان الوظيفية والماركسية أبرز مثال على هذا الاختلاف، يؤكد العديد من الباحثين على ضرورة وجود هذه الظاهرة سواء لتوازن بنية المجتمعات أو إحداث التغير الاجتماعي.

Résumé :

Le conflit est généralement dû à l'incompatibilité du comportement d'une personne avec ce qu'espèrent les autres, et il est difficile de changer le comportement d'une personne en particulier ou modifier ses prévisions car cela nécessite ententes personnelles, et un certain niveau de maturité, ce qui détermine la capacité de la personne à éviter les conflits. Et la difficulté de la compatibilité est causée généralement par la présence de ce qui est connu dans la sociologie et la psychologie par « l'interstice des générations » .

Beaucoup de théories ont abordé la question du conflit, par l'analyse conceptuelle et épistémologique. Nous citons donc les deux théories majeur ; la théorie fonctionnel et la théorie marxistes. De nombreux chercheurs soulignent la nécessité de la présence du conflit dans la vie social, que ce soit pour l'équilibre des communautés ou de leurs structures, en plus de son effet sur le changement social.

تمهيد:

عرف الانسان الصراع منذ وجوده ككائن بدائي، في صورة صراع مع "الطبيعة" من أجل البقاء، وحتى اليوم بعد كل ما توّصل إليه من تطوّر فكري ومعرفي، مما يجعله أحد الظواهر الاجتماعية الأزلية التي تكاد تكون معلما ثابتا من معالم الوجود البشري، تلازم العلاقات الاجتماعية في كافة مستوياتها الفردية أو الجماعية، "وتحمل ظاهرة الصراع أبعادا معقدة، متشابكة ومتنوعة؛ نفسية، ثقافية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، أو تاريخية، ... الخ"[1].

1- مفاهيم:

1-1- مفهوم الصراع:

يتداخل مفهوم الصراع في المعنى مع مفردات أخرى، تحمل معنى المواجهات، التوتر في العلاقات، ولكن المعنى الحقيقي للصراع، "يتمثل في مواجهة أو صدام قصدي بين طرفين أو جماعتين من نفس النوع، تُظهران نيّة عدائية لبعضها البعض، بسبب حق ما، وبهدف الحفاظ عليه يحاولان تحطيم مقاومة بعضها البعض، بل وباللجوء أحيانا إلى العنف الذي، قد يكون ضروريا للقضاء المادي على الطرف

[1] - David L. Sill :**International Encyclopedia of the Social Sciences**, Vol. 3,(USA: The Free Press , 1968), pp.220-221.

MOKARABAT

الآخر"[1]. كما " يكشف تحليل التراث عن أن مفهوم الصراع قد عرف بصور مختلفة، حيث تذهب إحدى المدارس الأمريكية التي تنمي فكريا إلى زيمل ...إلى أن الصراع هو أحد الأشكال الرئيسية للتفاعل، لأنه يستهدف تحقيق الوحدة بين الجماعات... "[2].

وبانطلاقنا من هذا التعريف نجد أنه أينما وجد تفاعل كان هناك صراع، وبما أن المجتمعات الإنسانية هي تركيبة معقدة من التفاعلات الاجتماعية الناتجة عن الاحتكاك بين الأفراد في مراكزهم وأدوارهم داخل المجتمع، فإن الاختلافات في مختلف المواقف واردة الحدوث وخصوصا عدم توافق التوقعات المنتظرة من فرد أو جماعة معينة مع الدور الذي يقومون به، وبالتالي فإن المواقف الاجتماعية لا تخلوا من وجود الصراع سواء حول مصالح معينة أو حول أفكار أو قيم اجتماعية أو ثقافية. كما يمكن تعريف الصراع بأنه "كفاح حول القيم والسعي من أجل المكانة والقوّة..."[3].

في هذا الصدد يميز الباحثون بين الصراع والمنافسة فيذهب العديد منهم إلى تسمية الصراع ما تعدى النزاع فيه إلى استخدام القوة والسلاح وأقصى درجات العدوان وهو بالتالي يرمز إلى حالة الحرب، في حين تبقى الحالة السليمة ترمز للمنافسة، ويذهب البعض الآخر إلى اعتبار أبسط أنواع النزاع صراعا* حتى ما يعرف "بالصراع الداخلي " وهو في علم النفس "صراع الفرد مع ذاته وكذلك الصراع الطبقي في المجتمع لدى ماركس، والصراع الثقافي وغير ذلك..."[5] ، وعموما فإن الصراع هو ما يهدف من خلاله أطراف الصراع إلى تحقيق المكانة والقوة التي تسمح لهم بالحفاظ على قيمهم سواء المكتسبة أو المورثة.

1-2- مفهوم النزاع:

عادة ما يترجم النزاع بنفس ترجمة مفهوم الصراع أي Conflit وكذلك يفسران بنفس المعنى، " فالنزاع، بصيغته البسيطة، يمكن أن يقتصر على نزاع كلامي، كما أنّه يمكن أن يبلغ درجات أكثر حدة من الصراع الجسدي القائم على العنف والهادف إلى تصفية الآخر مثلا "[6].

وبالتالي فإن النزاع متضمن في الصراع والعكس كذلك فكلاهما يعتبر خلافا متعدد الدرجات من الكلام وحتى إهلاك الطرف الآخر من النزاع. و" للنزاع درجات ... وأشكال، فإمّا أن يرتبط بموقف يقوم على العنف وإمّا أن يكون سلميا، فإن كان عنيفا غلب عليه الطابع العسكري وإن كان سلميا غلب عليه الطابع الأيدلوجي والثقافي واقتصر على النفور والتباعد"[7].

و لا بد أنّه هناك مفاهيم أخرى تقارب في المعنى وترتبط بالموضوع ولكنه من غير الممكن أن نحصيها جميعا وعليه اكتفينا بما سبق مركزين على أن الصراع يمكن أن يحدث إماّ بين الأفراد، بين الجماعات، الجماعات، أو حتى داخل الجماعة نفسها. تفسير ذلك يرجعه كوزر إلى حقيقة أن الصراع في حدّ ذاته أحد السمات الأساسية لجوانب الحياة الاجتماعية، وهو قد يكون "عامل يقود إلى تشكيل جمعيات وتنظيمات يتضمن بالضرورة الصراعات"[8].

2- أنواع الصراع:

لقد عرف تحديد الأنماط الصراع، والمعايير التي يخضع لها تصنيفه جدلا كبير، حيث يذهب البعض إلى تصنيفه على أساس الهدف أو على أساس الوسائل المستخدمة فيه وحدود انتشاره، وحدته وحجمه، أو كذلك على أساس المجموعات المتصارعة ويتفرع إلى أنواع عديدة قد لا يسعنا حصرها في هذا المقام ، فهو إذن يقسم إلى صراع مباشر وصراع غير مباشر أو صراع داخلي وصراع خارجي أو صراع مصالح كالصراع الطبقي، الصراع الثقافي، الصراع الصناعي ... الخ. وتجدر الإشارة أن كل التصفيات تصب في قالب واحد.

---

[1]- Julie freund: **sociologie du conflit** (Paris, PUF, 1983), p 65

[2]- نخبة من أستاذة علم الاجتماع: المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، د ت)، ص101.

[3]- نفس المرجع، ص82.

*- حول المفهوم انظر: - عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، ط3، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998)، ص ص127- 129.

[5]- نخبة من أستاذة علم الاجتماع: نفس المرجع، نفس الصفحة.

[6]- فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، ط1،(بيروت : أكاديميا، 1993)، ص104.

[7]- نفس المرجع، نفس الصفحة.

[8] - George Simmel : **le conflit**, traduit par silylle, (Paris : éd sanluxeuse, 1992), p9

MOKARABAT

وأما فيما يخص النوع الأول من التقسيم فإننا نجده يتجسد في آراء زيمل Simmel الذي فرق بين الصراع والمنافسة التي هي الشكل غير المباشر للصراع حيث يقول: " نستخدم مصطلح الصراع للإشارة إلى تلك الجهود المتوازية التي يبذلها طرفان متنافسان للحصول على شيء واحد ... "[1]. وقد حدد زميل كذلك الملامح المميزة للمنافسة من حيث الهدف إذ يرى أن المتنافس يرمي إلى تحقيق هدفه دون اللجوء إلى استخدام القوة أو إبراز العداوة ، وأوضح أن مثال الصراع غير المباشر أو المنافسة يكون في حالة السوق حيث يكون " محدودا ومنتظما يتنافس فيه شخصان (أو طرفان) بطريقة سليمة من أجل السيطرة على الموارد المحدودة ..."[2]، ويبقى الصراع المباشر هو ما يلجأ فيه إلى أسلوب العنيف بشكل واضح وذلك لتحقيق أهداف محددة ، سواء استيلاء على موارد أو نشر نفوذ أو تصفية الطرف الثاني أو إضعافه .... الخ.

وأما النوع الثاني فهو ما يفرق بين الصراع الدولي أو الحروب والصراع الداخلي أو الكفاح السياسي أو الثوري وقد حضي هذان النوعان من الصراع باهتمام كبير «فعلى سبيل المثال نجد كومت comte وسبنسر Spencer قد اهتما اهتماما كبيرا بالصراعات الدولية (وعلى الأخص بين ما يسمى بالمجتمعات العسكرية والصناعية) كما نجد بعد ذلك منافسات هامة لدور هذه الصراعات ... أما ماركس فقد أبرز أهمية الصراع الداخلي (أي الصراع الطبقي) بحيث لا تتضمن نظريته الاجتماعية إشارات تذكر للدور الذي يلعبه الصراع الدولي "[3]، ومن المهم التفريق بين هذين النوعين من الصراع (الداخلي والخارجي) وكذلك توضيح الفروق المحددة لمدى شدة الصراع على القوة وهي ما تعتبر مظاهر نوعية تحددها الأساليب المعتمدة والمختلفة والتي تبدأ بالتأثير الفكري ثم ممارسة ضغوط مختلفة وتنتهي إلى اللجوء للعنف.

ما يميز المجتمعات الحديثة النوع الثالث من التقسيم والذي يختص بدراسة الصراع في المجال الذي يحدث فيه ونقصد بذلك مثلا الصراع الصناعي والذي كان في بداية مرحلة التصنيع بالمجتمعات الغربية يأخذ طابعا عنيفا إلا أنه في الدول والمجتمعات الصناعية المتقدمة اليوم أصبح خاضعا لتنظيم أدق وأقل ميلا للعنف ، ولا يقتصر على المجالات الصناعية والاقتصادية بسبب تعقد الحياة الاجتماعية. "و لقد أشارت نظرية ماركس إلى أن مدى الصراع الصناعي قد يتسع ليشمل المجال السياسي بما ذلك تكوين طبقة عاملة ثورية"[4]، وهذا ما يثير تساؤلات حول مدى حدة الصراع الصناعي والصبغة التي تميزه، غير أن هذا ليس موضوع هذه الدراسة. " فمن الواضح الآن أن التهديد باستخدام القوة لم يعد بعيدا عن أي صراع صناعي خطير حتى ولو تم ذلك في ظروف تتميز كبير من السلام الاجتماعي "[5].

يظهر كذلك نوع آخر من الصراع وهو الصراع الثقافي " والذي ينشأ عندما تتصادم معايير وقيم وثقافات مختلفة كما هو الحال لدى المهاجرين إلى مكان جديد حيث يلتزمون بعاداتهم القائمة في موطنهم الأصلي "[6] وهناك صراع ثقافي ينتج عن عملية التفاوت الاجتماعي الذي يميز ثقافة المجتمع الواحد ونمط آخر من الصراع الثقافي كما رآه ورث wirth والذي " يؤدي إلى الجناح الناتج لتسرب الفرد لنسقين متصارعين للقيم في وقت واحد يؤدي ذلك إلى الإحساس بالقلق وعدم الاطمئنان "[7].

هذه المحاولات لتصنيف الصراع الاجتماعي بمختلف صوره تهدف إلى جعل دراسة هذه المشكلة أمرا يسيرا فهي تفترض خصائص مميزة لكل شكل من أشكال الصراع الاجتماعي والربط بينها.

3- أهم العوامل المسببة للصراع:

[1] – بوتومور: علم الاجتماع والنقد الاجتماعي، ط1، تر: محمد الجوهري وآخرون، (القاهرة: دار المعارف، 1981)، ص 216.

[2] – نخبة من أساتذة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 82.

[3] – نفس المرجع، ص 230.

[4] – بوتومور: مرجع سبق ذكره، ص 216.

[5] – نفس المرجع ، ص 217.

[6] – نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[7] – محمد سلامة ومحمد غباري: الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998)، ص76.

MOKARABAT

رغم تعقد ظاهرة الصراع وصعوبة قياسها ومعرفة مدى انتظامها وشدتها ودوامها، نظرا لضرورة وجود شواهد تاريخية كثيرة لمختلف أنماط الصراع، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع قيام دراسات نظرية حاولت تقديم تفسيرات سببية للصراع وخصوصا في صورة الحرب وارتباطها بظواهر أخرى وعناصر متكاملة مرتبطة بالمجتمعات إذ هناك خصائص عامة تميز البناءات الاجتماعية تؤدي لحدوث الصراع خصوصا وأن هذا الأخير قد ينشأ نتيجة لوجود عنصر مشترك يميز الطبيعة الإنسانية كما أشار زيمل حين قال: " من المستحيل إنكار وجود غريزة القتال التي تتخذ باستمرار أشكالا مختلفة غير التي وجدت سابقا"[1]، فقد أشار زيمل بذلك إلى اتجاه أول في البحث عن أسباب الصراع وذلك داخل الطبيعة الإنسانية وهو ما أطلق عليه غريزة القتال إذ أنه يؤكد على وجودها وعدم إمكانية كبحها رغم مواجهتها باستمرار لغرائز أخرى كالتعاطف مثلا، وتذهب النظريات البيولوجية (مدعمة بآراء فرويد Freud وأنشتاين Einstein) إلى أن غريزة العدوان تنتشر بين مختلف المخلوقات بما فيها الإنسان وهي تنجم عما يعرف لدى داروين بالانتخاب الطبيعي La sélection naturel والتي تتماشى مع مفهوم الصراع من أجل البقاء أو (البقاء للأصلح أو الأقوى)، فالناس إذن يرثون العدوان بيولوجيا ويبقى تدعيمه ونموه مرتبطا بالعادات والتقاليد الاجتماعية " فالإنسان (رجلا على وجه الخصوص) في مجتمعنا الحديث يسعى على الأقل لتحقيق السيطرة ومن ثمة أحيانا إلى الصراع والعدوان "[2]، وما من شك من أنّ العدوان أو القتال أو الصراع هو خاصية يترتب عليها مبدأ إقامة النظام والمكانة الاجتماعية.

إنّ هذه النظرية حتى وإن كانت سليمة وعقلانية إلا أنها لا تستطيع إعطاء تفسير فعلي وكامل للصراع فتفسير غريزة العدوان لا يضفي بالضرورة تحديد دورة الصراع والسلام وإعطاء الحالات التي يتوقف فيها الصراع أو ينشب إلا أنها تستطيع أن تظهر الاستعداد الفطري الكامن للعدوان. وهذا ما يدفعنا إلى دراسة النظرية البيولوجية للعدوان في ظل أبعاد سوسيولوجي وهو الاتجاه الثاني في تفسير الصراع وذلك على أساس المصالح ومثاله عملية الدفاع أو التصدي لما قد يهدد مصلحة أو أشخاص مقربين أو مكانة اقتصادية أو اجتماعية ... الخ ، ففي هذه الحالة تكتسب المصالح البيولوجية أهمية اجتماعية وهو ما يشار إليه في ضوء التصورات الماركسية بتضارب المصالح Conflits d'intérêts والذي يظهر خصوصا في الصراع الطبقي.

وبالرغم من عدم وجود مقاييس واضحة ودقيقة للحكم على مدى الصراع الاجتماعي فإن ما يعتقده كثير من علماء الاجتماع حديثا هو اختفاء الصراع الطبقي من المجتمعات الصناعية المتقدمة، ويصبح من الضروري هنا تفسير اختفاء الصراع الطبقي وهذا يقودنا إلى أن التباعد في المصالح لا يرتبط ارتباطا وثيقا بالصراع بل قد تكون هناك عوامل أخرى حلت محل المصالح وأثرت في درجة الصراع، كروح القومية مثلا ومساهمتها في التقليل من الصراع الداخلي، ويجدر هنا عرض آراء أخرى جاءت مناقضة لآراء ماركس حيث نجد مثلا رالف دارندروف Dahrendrof قد ذهب إلى أن " شدة الصراع الطبقي في المجتمعات الرأسمالية خلال القرن التاسع عشر إلى سيطرة الصراع السياسي على الصراع الصناعي، إذ أن طرفي الصناعة وهما رأس المال والعمل قد واجها بعضهما مرة أخرى لكن في شكل برجوازية وبروليتاريا "[3]. ونستعرض هنا كذلك رأي زيمل Simmel الذي ذهب إلى أن الصراع داخل الجماعات القرابية والتي تعتمد على العلاقات الاجتماعية الوثيقة قد يزداد حدة وكذلك الأمر لدى الجماعات التي تهتم بقضايا وتدافع عنها عوض المصالح .

وقد طور كوزر L. Coser هذه القضية وحللها ، متوصلا إلا أن التنظيم المتآلف يستند أكثر إلى العقيدة (أو المذهب) مما يجعل التوترات القائمة داخله نؤدي إلى صراع داخلي متطرف وكل هذه التحليلات تخلو من التعميمات والنتائج ولم تخضع للدراسة الأمبريقية وهي لا تفيدنا في معرفة ما إذا كانت شدة الصراع تختلف مع اختلاف مصالح الجماعة الواحدة لأيديولوجيات مشتركة وإذا ما كانت قوة التنظيم القائم داخل الجماعة (سواء سياسيا أو دينيا أو عرفا ....الخ) عاملا محدد لاختلاف أنماط الصراع أو شدته أو حتى إمكانية قيامه.

4- <u>بعض النظريات التي عالجت الصراع:</u>

[1]- نفس المرجع، نفس الصفحة.
[2]- بوتمور: مرجع سبق ذكره، ص 217.
[3]- نفس المرجع ، ص 223.

MOKARABAT

يرى العديد من المنظرين أن جميع الظواهر الاجتماعية التاريخية، الحاضرة والمستقبلية هي نتيجة للصراع، وأن العمليات الاجتماعية تحدث في ضوء الميل الغريزي للإنسان نحو التغيير والتفوق والتجديد وحتى أحيانا نحو العدوان وهزيمة الآخر.

وعموما وكما سبق وأشرنا فإن للصراع نظريتان أساسيتان تختلفان في طرحهما إذ بينما ترى فيه الأولى عامل هدم للمجتمع، وخللا وظيفيا في البناء الاجتماعي، تعتبره النظرية الماركسية عنصر صحة في المجتمع، بل وأكثر من ذلك مفتاحا ومحرّكا لتقدمها وانتقالها من حالة إلى أخرى.

4-1- الاتجاه الماركسي:

إنّ الاتجاه الماركسي الذي يتدرج ضمن علم الاجتماع الثوري، ينظر للصراع كعامل لتطوير المجتمع وانتقاله من مرحلة تاريخية لأخرى، "وهذه النظرة الشمولية للصراع كناتج، محرك للمجتمع، تجد تعبيرها في المادية التاريخية، حيث أظهر ماركس أهمية العامل المادي في صنع أحداث التاريخ "[1]، وسنتعرض لاحقا لشرح آراء كارل مانهايم حول الصراع ونظرية الوعي التاريخي.

ينشأ هذا الصراع، حسب ماركس نتيجة وجود طبقتين معارضتين، أحدهما مالكه لوسائل الإنتاج والأخرى معدمة "فالطبقة العاملة المشتغلة التي تعيش تحت ظروف اقتصادية سيئة، عندما يكون لديها الوعي بمصالحها الحقيقية، فإنها تكون تنظيما ثوريا سياسيا ضد الطبقة المسيطرة المالكة لرؤوس الأموال"[2].

وهكذا ينتقل المجتمع إلى وضع جديد الصراع هنا عامل صحة لأنه الطريقة الوحيدة التي تمكن المجتمع من التغير والتقدم بدل البقاء حبيس مستقرة جامدة.

4-2- نظرية البنائية الوظيفية:

تنتمي النظرية الوظيفية إلى الاتجاه المحافظ في علم الاجتماع حيث "تصور مثلها مثل النزعة العضوية رد فعل مجموعة من المفكرين الذين يؤيدون استقرار حاجات النسق السياسية، والاقتصادية والاجتماعية"[3]، حيث تدرك أن "المجتمع كمجموعة من الأنساق والحاجات المتساندة والتي تترابط وتتفاعل سويا وتتطور تلقائيا موجهة إلى تحقيق التوازن فيما بينها، كما تكمل وظائف الأنساق الأخرى"[4].

إن هذه الرؤية للمجتمع كمجموع أنساق متكاملة بنيويا ومتساندة وظيفيا، بحيث إذا أدى خلل في أحد الأنساق، يتأثر بالضرورة كل البناء، ولهذا تعتبر النظرية الوظيفية أي عدم توازن في البناء هو خلل في إحدى الأنساق يجب مواجهته حالا وإعادة الأمور إلى طبيعتها المستقرة، وفي إطار هذا الموقف "يبدو الاتجاه الوظيفي أكثر انشغالا بالظروف والعوامل التي تساعد على استقرار وتماسك النظام الاجتماعي...، وينظر إلى الصراع على أنه ظاهرة مرضية ناتجة عن خلل في إحدى وظائف البناء"[5].

فالنظرية الوظيفية ومن منطلق موقعها المحافظ في النظرية السوسيولوجية، الرامي للإبقاء على الوضع الراهن واستخدام علم الاجتماع لتكريس حالة من الاستقرار والاستمرارية ترفض الصراع كعملية اجتماعية، وتعتبره خللا وحيادا عن حالة الطبيعية، والتي هي الاستقرار، لذلك يجب القضاء عليه وعلى أسبابه.

5- الصراع في العلوم الاجتماعية:

إن التحدث عن الصراع يجعلنا نتصور مباشرة مجموعة من القوى توجد بينها حالة توتر ناتجة عن التصادم، فهذا المفهوم لا يستخدم في الأمور الاعتيادية والبسيطة إذ يشيع استخدام كلمات أبسط مثل مشكلة أو أزمة ... وهو كما سبق الإشارة متداول في الصحافة والأدب والسياسة،... فيذكر الصراع بين الاتجاهات السياسية والصراع مع السلطة، والصراع المسلح (الحرب) وقليلا ما نتحدث عن صراع الأجيال وعلى العموم فإن الحديث عنه يظهر فكرة مفادها التعارض والتصادم بين قوى متكافئة إلى حد قريب، ويؤدي نزاعها أو وفاقها إلى

---

[1]- المرجع نفسه، ص250.

[2]- جو ن تيرنر: تبادل النظرية الاجتماعية، ترجمة محمد سعيد فرح،(الإسكندرية: منشأة المعارف، 1999)، ص104.

[3]- جراهام كيلوش: تمهيد في النظرية الاجتماعية، تطورها ونماذجها، تر: محمد سعيد فرح، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998)، ص221.

[4]- المرجع نفسه، ص 222.

[5]- لحرش موسى: " قراءة معرفية لظاهرة الصراع الاجتماعي"، مجلة التواصل، عدد 6، (جوان2000)، ص 246.

MOKARABAT

إحداث أثر في مختلف الوضعيات داخل الجماعة الكلية أو مستوى الأفراد، وهذا الأثر ينظر إليه على أنه حالة من التوتر يعيشها الفرد والجماعة ومهما كان الصراع كامنا أو مستترا وغير مصرح به فإنه يحدث نوعا من توتر والتأثير وإن هذا النوع من الصراع قد تنبح عنه نماذج اجتماعية مشوهة (من ناحية العلاقات الاجتماعية أو اعتقادات الأفراد ... الخ) كتشويش السلوك وتذبذب الأفكار والمبادئ وهو ما يجعل علماء النفس بشكل خاص يهتمون بهذا النمط من الصراع لما له من تأثير في نفسيات الأفراد وبالتالي سلوكاتهم واضطرابات طباعهم إلا أننا من الناحية السوسيولوجية نتناول الموضوع بشكل أوسع وأدق فهو يهتم بالعلاقات الاجتماعية والأنساق القيمية ككل و[بأهمية التجانس أو الصراع في تكوينها أو تعديلها أو الحفاظ عليها، فهذا النوع من الصراع لا تهلك فيه الأطراف المتصارعة بعضها البعض بل تؤثر في بعضها وفي النسق القائم ككل.

فالمجتمع كتلة متكاملة من الوحدات الاجتماعية (أفراد، أسر، مؤسسات...) لا يمكن فصلها عن بعض وأن تضرر أي شريحة من شرائح البنية الاجتماعية لا محالة سيمس وتؤثر على باقي البنيات وكذلك الأمر بالنسبة للصراع داخل وحدات المجتمع بما ذلك الصراع داخل الأسرة، فصراع الزوجين (Conflit conjugal) مثلا يؤدي إلى زعزعة الكيان الأسري والتأثير على الأبناء وكافة أعضاء الأسرة وتحسسيهم بعدم الاستقرار وقد ينتج عن ذلك إضعاف مردودهم في نطاق نشاطهم الخارجي (العمل / الدراسة...) وتوتر علاقاتهم الاجتماعية بشكل عام ... فالصراع الاجتماعي قد يكون مرضيا، فهو – كما أشرنا آنفا – ظاهرة صحية في المجتمع يؤكد العديد من الباحثين على ضرورة وجودها سواء لتوازن بنية المجتمعات أو إحداث التغير الاجتماعي ، فهو (الصراع) قد " يدور حول توزيع الخبرات النادرة (الممتلكات الاقتصادية)، السلطة، للقيم، والأفكار..."[1]. وهذا النوع الأخير من الصراع (بين القيم والأفكار) هو ما يمكن أن ينشب داخل الأسرة إذ أن يكون هناك صراع مصالح أو صراع حول السلطة أو الموارد داخل الأسرة الواحدة (ما عدى الميراث وهو أمر آخر) بل إنه في الغالب يكون صراعا حول قيم أو أفكار أو معتقدات أو وجهات نظرا ورؤى مختلفة للأمور أو سلوكات معينة تتجه وجهة غير معتادة في النسق الأسرى أو الاجتماعي ككل ...، وعلى هذا فإننا ومن خلال ما رأينا في مختلف ومن عناصر هذا الفصل فإن الصراع قد ثم تناوله من مختلف الزوايا والاتجاهات وتم تناوله من مختلف الزوايا والاتجاهات وتم تفسيره من قبل العديد من المفكرين في مختلف العلوم الإنسانية والتي صنفناه باختصار في بعض الجوانب كما يلي:

5-1- الصراع من الجانب الاقتصادي: ويتمثل في آراء ماركس حول الصراع الطبقي والخلاف بين البرجوازية البروليتاريا حول وسائل الإنتاج ومراكز السلطة، أين ترى كل طبقة منهما أنها الأحق في الملكية وسائل الإنتاج حيث تملك الأولى رأس المال والثانية القوة العاملة التي تبيع جهودها بأجور زهيدة، وبالرغم من أن الدراسات تشير إلى أن هذا الصراع هو صراع اجتماعي ويدرس من وجهة نظر سوسيولوجية إلاّ أن دوافعه الأولية هي اقتصادية كما يرمز له أحيانا بالصراع الصناعي .

5-2- الصراع من الجانب السياسي: وهو ما أشرنا إليه سابقا من صراح مسلح متمثل في حالة الحرب والثورة، والغارات بين القبائل ... والذي يكون هدفه الأساسي توسيع الحدود أو استرجاع أرض أو الاستيلاء على الموارد...، إضافة إلى ما يعرف في العصر الحديث بالحرب الباردة، وهو صراع المصالح بشكل سليمي يخلو من التدخلات المسلحة إلا أن أهدافه نفسها واستراتيجيا مختلفة وقد تناوله بالدراسة العديد من العلماء والباحثين كما أشرنا سابقا.

5-3- الصراع من الجانب النفسي: ويشار إليه عادة باضطراب الفرد داخليا وصراعه مع ذاته إذ يضطرب عادة لديه رؤيته للمركز الذي يوضع فيه والدور الذي يفرضه عليه وتوقعاته للآخرين وتوقعاتهم منه، وهو أحيانا صراع يدور داخل الفرد حول رغباته واهتماماته يظهر على شكل اضطرابات في الميول والآراء وعدم ثبات في الأفكار ....

5-4- الصراع من الجانب الاجتماعي: قد يقوم الصراع الاجتماعي بين فصائل مختلفة داخل المجتمع الواحد أو بين جماعات فرعية في المجتمع أو بين أفراد في المؤسسة اجتماعية واحدة فهو في هذه المستويات يكون معبرا عن حالة من التفاعل الاجتماعي الناتج من الناتج من الاختلاف أو المنافسة أو الثأر .... الخ، فالصراع " هو ظاهرة حتمية لا بد من ظهورها في المؤسسات الاجتماعية أو أن أعضاء

[1]- خليل أحمد خليل: المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط1، (بيروت: دار الحداثة، د ت) ص 71.

MOKARABAT

المؤسسات لا بد أن يكونوا في حالة صراع الواحد مع الآخر التكامل الاجتماعي أو الإجراءات السليمة التي يتخذها المجتمع بصدد الصراع القائم فيه لا يمكن أن تنجح في القضاء عليه أو تخفيف وطأته "[1]

فالتفاعل الاجتماعي (أو العلاقات الاجتماعية بشكل عام) قد يتم في نوع من التوافق والهدوء ولكنه في كثير الأحيان يسبب مشاحنات بين الأفراد المتفاعلين ناجم عن عدم التكافؤ العقلي أو التوتر في توقعات السلوك فكل " علاقة اجتماعية معرضة اجتماعية معرضة لاحتمالين: الاحتمال الأول هو عدم فهم الشخص توقع سلوك الشخص الآخر الذي يدخل في علاقة معه، والاحتمال الثاني هو فهم الشخص توقع سلوك الشخص الآخر، بيد أن هذا التوقع لا يساعده على تحقيق طموحاته وأهدافه وهذه الحالة لابد أن تسبب الصراع بين الأطراف للمعنية على مستوى المكروسوسيولوجي "[2]. قد يثار بسبب السلوكات اليومية التي تجسد قناعات واعتقادات وقيما اجتماعية معينة.

6- من نتائج الصراع:

يعتقد العديد من العلماء أن الصراعات (الحروب بالأخص) قد ساهمت منذ بداية الإنسانية في تكوين المجتمعات وفي وضع الحدود السياسية للعالم اليوم وتحديد البنى والقواعد الاقتصادية والاجتماعية ... الخ ، والاتجاه الأساسي في الدراسات السوسيولوجية حول وظائف الصراع الاجتماعي يتجسد فيما لخصه لويس كوزر حيث يقول: " لقد ناقشنا مجموعة القضايا التي لفتت الانتباه لدراسة الظروف المختلفة التي في ظلها يمكن أن يسهم الصراع الاجتماعي في المحافظة على العلاقات الاجتماعية، والبناء الاجتماعي وما يتطلبه ذلك من تكيف ومواءمة"[3].

وكما أشار زيمل في نفس السياق للتعبير عن الوظائف الاجتماعية للصراع وإسهامه في إحداث التوازن الاجتماعي حيث يرى : "إذا ما ظل الصراع داخل الجماعة محصورا في نطاق معين قد يسهم في تدعيم وحدة الجماعة ، ويكون بمثابة صمام أمن بقدرته إعادة الوحدة داخل الجماعة مرة أخرى. أما الصراع بين الجماعات فإنه قد يساعد على تعيين حدودها الإقليمية"[4].

وقد يساهم الصراع في الحفاظ على موازين القوى بين الجماعات من خلال دعم النسق الاجتماعي الكلي وبالتالي فهو يساهم في تدعيم الوحدة الداخلية ضمن الجماعات المتصارعة من خلال تعزيز روح العصبية، كما يذهب البعض إلى أن جميع الأنظمة القائمة هي نتيجة للصراع، كما أن نفس الظواهر قد تكون أحيانا نتيجة للصراع وأحيانا أخرى سببا في حدوثه "ومن المعروف أن ماركس كان قد أشار في وقت سابق إلى فكرة متشابهة حينما أكد أن الطبقات تدخل في الصراع، لكنهما تعد أيضا نتاجا له بوصفها جماعات واعية "[5].

كما نجد أن الصراع يدخل في إحداث التغير الاجتماعي ويسهم في سرعته، وقد اعتبره "زيمل " أهم عمليات الحياة رغم أن الدراسات الحديثة لا تدعم هذه الفكرة ولا نؤكد على العلاقة بين الصراع والتغير الاجتماعي، مهملين بذلك دراسة الثورات الداخلية وما يترتب عنها من نتائج واعتبارات أخلاقية مرتبطة بالصراع، إلا أن هذا لا ينفي تأثيرها في الفكر الاجتماعي الحديث «وزيادة الاهتمام بالتراث النظري الذي تركه الثوار المعاصرون من أمثال ماو تسي تونغ Mo – Tse –tong وشي غيفارا Che Guevara وفرانس فانون F . Fanon ...»[6].

كما أن الصراع له علاقة بالمحافظة على طابع الحياة الاجتماعية في حالته والمتغيرة، فالصراع بين الجماعات – كما يرى زيمل – يؤدي إلى تدعيم التماسك الاجتماعي داخلها ولكن ليس في جميع الحالات ولنشهد على ذلك بمثال معاصر: "من الواضح أن الحرب التي شنتها الولايات المتحدة في الفيتنام لم تسهم في زيادة الوحدة بين أفراد المجتمع الأمريكي، بل على العكس من ذلك أحدثت انقساما داخل

[1]- دنكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، ط2، ترجمة ومراجعة إحسان حسن، (بيروت: دار الطليعة، 1986)، ص57.
[2]- نفس المرجع، ص 56.
[3]- جراهام كيلوش، مرجع سابق، ص 224.
[4]- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.
[5]- نفس المرجع ، ص 226.
[6]- بوتومور: مرجع سابق ، ص 227.

MOKARABAT

المجتمع وصل إلى درجة الصراع الحاد "[1]، وهكذا فإنه ليس من الأكيد دائما أن الارتباط قوي بين الصراع الخارجي ونتائجه ودرجة التماسك الاجتماعي الداخلي للجماعات المتصارعة ذلك أن الدراسات الأمبريقية في هذا المجال ضئيلة وليس لدينا نماذج نظرية كافية تمكننا من إصدار أحكام حول نتائج الصراع في مختلف أنماط المجتمعات.

والصراع داخل الجماعات أو بينها من شأنه أن يحقق نوعا من التغير أو حتى يعطيها استعداد له ويمهد لتقبله خصوصا إذا ما تأثرت أساليب الحياة في تلك المجتمعات جراء الصراع، ونجد " الكثير من علماء الاجتماع يذهبون إلى أن الحروب قد أسهمت في توسيع نطاق المجتمعات القديمة، كما أدت في عالمنا المعاصر إلى ظهور الدول بمعناها الحديث..."[2].

يؤثر الصراع كذلك تأثيرا كبيرا في التطور التكنولوجي وينعكس ذلك على إحداث تغيرات عميقة في المجتمع، وقد أثرت الصراعات على المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وساهمت في تحرر المرأة وتغيير العديد من التشريعات، ... مما يسبب تغيرات عميقة في البنى الاجتماعية وهو يعمل كدافع لإقرار حقوق الأفراد وتحقيق العدالة الاجتماعية ... من خلال النقد والمعارضة، إذن للصراع أو المنافسة دور حضاري كما اعتقد دوركايم .

" والواقع أن زيمل ومن أتى بعده (من أمثال كوزر) قد اهتموا اهتماما كبيرا بتأكيد الوظائف الإيجابية (بمعنى النتائج المفيدة) للصراع. ومن بين هذه الوظائف الإيجابية أن الصراع يؤدي تغيرات توصف بأنها مفيدة عموما. وبغض النظر عن الحقيقة التي مؤداها أن الصراع قد يؤدي إلى حدوث تغيرات قد ينظر إليها على أنها ضارة"[3].

وقد نلاحظ في التحليلات السابقة أن الصراع يفسر دائما على كونه حربا أو ثورة أو قتالا أو غزوات أو تتسم بطابع التسلح أو العنف إلا أن الدراسات الحديثة قد أوضحت لنا كيف أن الصراع هو جزء من النسق الاجتماعي المتوازن، ولم يعد مصطلح الانحراف كافيا للتعبير عن مختلف صور الصراع والتمرد لدى أفراد المجتمعات كما كان الأمر في السابق وأصبح مصطلح الصراع فعالا في التعبير عن العديد من مظاهر التصادم والاختلاف الأيديولوجي في أبسط صوره وتعدى مفهوم الحرب والمنافسة الاقتصادية إلى التصادم الثقافي والفكري الذي تتضمنه مجتمعات هذا القرن والتي تتسم بالغير الاجتماعي السريع ، وهذا لا يعني أن الصراع سمة أصيلة وجذرية في المجتمعات بل سمة استثنائية تميز العلاقات الاجتماعية وتساهم في تعديل المجتمعات وتستحق توجيه مزيد من الاهتمام لدراستها لما لها من أهمية في تدعيم النسق الاجتماعي أو الإطاحة به.

خلاصة:

إنّ التحدث عن الصراع يجعلنا نتصور مباشرة مجموعة من القوى توجد بينها حالة توتر ناتجة عن التصادم، فهذا المفهوم لا يستخدم في الأمور الاعتيادية والبسيطة إذ يشيع استخدام كلمات أبسط مثل مشكلة أو أزمة... وهو كما سبق الإشارة متداول في الصحافة والأدب والسياسة، ... فيذكر الصراع بين الاتجاهات السياسية والصراع مع السلطة، والصراع المسلح (الحرب) وعلى العموم فإن الحديث عنه يظهر فكرة مفادها التعارض والتصادم بين قوى متكافئة إلى حد قريب، ويؤدي نزاعها أو وفاقها إلى إحداث أثر في مختلف الوضعيات داخل الجماعة الكلية أو مستوى الأفراد، وهذا الأثر ينظر إليه على أنّه حالة من التوتر يعيشها الفرد والجماعة، ومهما كان الصراع كامنا أو مستترا وغير مصرح به فإنه يحدث نوعا من توتر والتأثير وإن هذا النوع من الصراع قد تنتج عنه نماذج اجتماعية مشوهة (من ناحية العلاقات الاجتماعية أو اعتقادات الأفراد ... الخ) كتشويش السلوك وتذبذب الأفكار والمبادئ وهو ما يجعل علماء النفس بشكل خاص يهتمون بهذا النمط من الصراع لما له من تأثير في نفسيات الأفراد وبالتالي سلوكاتهم واضطرابات طباعهم إلا أننا من الناحية السوسيولوجية نتناول الموضوع بشكل أوسع وأدق فهو يهتم بالعلاقات الاجتماعية والأنساق القيمية ككل وبأهمية التجانس أو الصراع في تكوينها أو تعديلها أو الحفاظ عليها، فهذا النوع من الصراع لا تُهلك فيه الأطراف المتصارعة بعضها البعض بل تؤثر في بعضها وفي النسق القائم ككل.

[1]- نفس المرجع، نفس الصفحة.

[2]- نفس المرجع ، ص228.

[3]- نفس المرجع، نفس الصفحة.

MOKARABAT

فالمجتمع كتلة متكاملة من الوحدات الاجتماعية (أفراد، أسر، مؤسسات...) لا يمكن فصلها عن بعض وإنّ تضرر أي شريحة من شرائح البنية الاجتماعية لا محالة سيمس ويؤثر على باقي البُنى وكذلك الأمر بالنسبة للصراع داخل وحدات المجتمع بما ذلك الصراع داخل الأسرة، فصراع الزوجين (Conflit conjugal) مثلا يؤدي إلى زعزعة الكيان الأسري والتأثير على الأبناء وكافة أعضاء الأسرة وتحسسيهم بعدم الاستقرار وقد ينتج عن ذلك إضعاف مردودهم في نطاق نشاطهم الخارجي (العمل / الدراسة...) وتوتر علاقاتهم الاجتماعية بشكل عام... فالصراع الاجتماعي قد يكون مرضيا في بعض الأحيان، إلاّ أنّه – كما أشرنا آنفا – ظاهرة صحية في المجتمع يؤكد العديد من الباحثين على ضرورة وجودها سواء لتوازن بنية المجتمعات أو إحداث التغير الاجتماعي ، فهو (الصراع) قد " يدور حول توزيع الخبرات النادرة (الممتلكات الاقتصادية)، السلطة، للقيم، والأفكار..."[1].

قائمة المراجع:

– المراجع باللغة العربية:

1– بوتومور : **علم الاجتماع والنقد الاجتماعي**، ط1، تر: محمد الجوهري وآخرون، (القاهرة: دار المعارف، 1981).

2– جراهام كيلوش: **تمهيد في النظرية الاجتماعية، تطورها ونماذجها**، تر: محمد سعيد فرح، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998).

3– جوناثان تيرنر: **تبادل النظرية الاجتماعية**، ترجمة محمد سعيد فرح، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1999).

4– خليل أحمد خليل: **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، ط1، (بيروت: دار الحداثة، د ت).

5– دنكن ميتشل: **معجم علم الاجتماع**، ط2، ترجمة ومراجعة إحسان حسن، (بيروت: دار الطليعة، 1986).

6– ر. بودون / ف. بوريكو: **المعجم النقدي لعلم الاجتماع** ، ط4 ، تر: سليم حداد، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986).

7– عبد الهادي الجوهري: **قاموس علم الاجتماع**، ط3، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998).

8– فريدريك معتوق، **معجم العلوم الاجتماعية**، ط1، (بيروت: أكاديميا ، 1993)

9– لحرش موسى: "قراءة معرفية لظاهرة الصراع الاجتماعي"، **مجلة التواصل**، عدد 6، (جوان2000).

10– محمد سلامة ومحمد غباري: **الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998).

11– نخبة من أستاذة علم الاجتماع: **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د ت).

– المراجع باللغة الأجنبية:

12– David L. Sill :**International Encyclopedia of the Social Sciences** Vol.3, (USA: The Macmillan Company and the Free Press, 1968).

13– George Simmel: **le conflit**, traduit par silylle, (Paris : éd sanluxeuse, 1992).

14– Julie freund: **sociologie du conflit**, Paris : PUF,1983.

[1]– خليل أحمد خليل: مرجع سابق، ص 71.

MOKARABAT